

## كفالة المنكوبين

عناصر الخطبة

تعريف التكافل

فضل كفالة المصابين ومعونتهم

صور مشرقة من حياة الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

التفصيل:

**تعريف التكافل** التكافل في اللغة: مأخوذ من مادة كفل وهي تأتي على معاني متعددة منها

التضامن ومنه قوله تعالى: {إِذْ يُلقُونَ أَفْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيْمَ} [آل عمران: ٤٤] أي أيهم يعولها

ويضمن معيشتها. (١)

**التكافل في الاصطلاح:** تعاون أبناء المجتمع. فرادي وجماعات. على تحقيق الخير ودفع الجور.

يقول الدكتور عبد الله علوان: أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء أكانوا أفراداً أو

جماعات حكاماً أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابية كرعاية اليتيم أو سلبية كتحریم الاحتكار بدافع

من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية ليعيش الفرد في كفالة الجماعة وتعيش

الجماعة بمؤازرة الفرد حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن

أفراده. (٢)

(١) لسان العرب لابن منظور (٣٩٠٥).

(٢) التكافل الاجتماعي في الإسلام للدكتور عبد الله علوان (٩).

-معنى المنكوبين: قال ابن منظور: النَّكْبَةُ الْمُصِيبَةُ مِنْ مَصَائِبِ الدَّهْرِ أَوْ مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنْ الْحَوَادِثِ. (٣)

يتبين مما سبق أن معنى كفالة المنكوبين: تعاون أبناء المجتمع - بأفرادهم ومؤسساتهم - على مساندة أصحاب المصائب ودفْع الضرر عنهم. . .

### فضل كفالة المصابين ومعونتهم

١- هي من التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله تعالى به.

لقد أمرنا الله تعالى بالتعاون على البر والتقوى ونهانا عن التعاون على الإثم والعدوان. وللتعاون مجالات كثيرة وصور متعددة مثل كفالة الأيتام والمساكين والأرامل والمحتاجين من المرضى والمنكوبين إلى غير ذلك من أصحاب الحاجات. . .

١- قال تعالى: { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } [المائدة: ٢]،

قال ابن كثير: يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل. (٤)

قال الشيخ السعدي: أي: ليعن بعضكم بعضاً على البر. وهو: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين.

والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن

(٣) لسان العرب لابن منظور (٤٥٣٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٨/٥).

العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك. (٥)

## ٢- كفالة المصابين والمنكوبين من الإحسان الذي أمر الله تعالى به

قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا \* الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا \* وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا \* وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا} [النساء: ٣٦، ٣٩]

٣- قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ} [البقرة: ٨٣]

## ٣- من خصال البر التي يستدل بها على صدق الإيمان.

قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧]

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٢١٨).

## ٤- ترك المصايين وعدم معاونتهم - مع القدرة - من أسباب دخول النار

فقد بين ربنا أن من أسباب دخول أهل النار النار عدم الرحمة والشفقة على أصحاب الحاجات فقال تعالى: {إِنَّهُ

كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ \* وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ} [الحاقة]

قال الشيخ السعدي - رحمه الله - : { وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ } أي: ليس في قلبه رحمة يرحم

بها الفقراء والمساكين فلا يطعمهم من ماله ولا يحض غيره على إطعامهم، لعدم الوازع في قلبه، وذلك

لأن مدار السعادة ومادتها أمران: الإخلاص لله، الذي أصله الإيثار بالله، والإحسان إلى الخلق

بوجوه الإحسان، الذي من أعظمها، دفع ضرورة المحتاجين بإطعامهم ما يتقوتون به، وهؤلاء لا

إخلاص ولا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا. (٦)

## ٥- من كفل كفل ومن أعان أعين والجزاء من جنس العمل

١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ

وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ . . . .). (٧)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً

مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ). (٨)

(٦) المرجع السابق (٣٣٨)

(٧) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٨) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

## ٦ - كفالة المنكوبين تكامل تنجوا به الأمة من التآكل

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطِفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى). (٩)

قال ابن حجر رحمه الله: قال ابن أبي جمرة الذي يظهر أن التراحم والتوادم والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر وأما التوادم فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضا كما يعطف الثوب عليه ليقويه اه ملخصا. (١٠)

ومن هذا المنطلق أورد النبي ﷺ من المسلمين أن يكمل بعضهم بعضًا بما عند البعض وليس عند الآخر فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ فَجَعَلَ يَضْرِبُهَا يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَيَّ مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ زَادَ فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَيَّ مَنْ لَا زَادَ لَهُ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي الْفَضْلِ). (١١)

قال النووي: في هذا الحديث الحث على الصدقة والجود والمواساة والإحسان إلى الرفقة والأصحاب والاعتناء بمصالح الأصحاب وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج وأنه يكتفي في حاجة المحتاج بتعرضه للعطاء وتعرضه من غير سؤال وهذا معنى قوله فجعل يصرف بصره أي

(٩) أخرجه البخاري (٦٠١١).

(١٠) فتح الباري لابن حجر (٠).

(١١) أخرجه مسلم (١٧٢٨).

متعرضاً لشيء يدفع به حاجته وفيه مواساة ابن السبيل والصدقة عليه إذا كان محتاجاً وإن كان له راحلة وعليه ثياب أو كان موسراً في وطنه ولهذا يعطي من الزكاة في هذه الحال. (١٢)

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قَالَ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ). (١٣)

ولما مات جعفر بن أبي طالب ﷺ اهتم النبي ﷺ لأهله وأولاده فواساهم ووقف معهم وسعى في تفريج كرباتهم لما هم فيه من هذه النكبة الشديدة فعن عبد الله بن جعفر ﷺ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: (اصْنَعُوا لِأَلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَعَلَهُمْ). (١٤)

#### ٧- من محبة الخير للمسلمين التي يكمل بها الإيمان.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قَالَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ). (١٥)  
وقريب منم هذا نفي كمال الإيثار عن يشعب وجاره جائع كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ). (١٦)

#### ٨- المنكوبون والمصابون في أموالهم وأنفسهم حلت لهم المسألة حتى تزال النكبة وترفع المصيبة فأين من يجيب السائل ويمسح الدمعة ويزيل العبرة

(١٢) شرح النووي على مسلم (٣٣/١٢).

(١٣) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥).

(١٤) أخرجه أبو داود (٣١٣٢)، وابن ماجه (١٦١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠١٥).

(١٥) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، واللفظ له.

(١٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٨٢).

عن قبيصة بن مخارق الهلالي رضي الله عنه قال: (تَحَمَّلْتُ حَمَالَةَ فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَقِمِ يَا قَبِيصَةُ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا ثُمَّ قَالَ: يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ تَحْمَلُ حَمَالَةَ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ فَسَأَلَ حَتَّى يُصِيبَهَا ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ فَاجْتَا حَتَّى مَالَهُ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ فَسَأَلَ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةَ مِنْ دَوَى الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ قَدْ أَصَابَتْ فَلَانًا الْفَاقَةَ فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ فَسَأَلَ حَتَّى يُصِيبَ قَوْمًا مِنْ عَيْشٍ، أَوْ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ ثُمَّ يُمْسِكُ وَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا). (١٧)

ولا شك أن من أخرجوا من بيوتهم ليعيشوا في مخيمات يكلهم البرد ويقتلهم الزمهرير في أشد الفاقات والنوازل وكذلك من ابتلوا بأمراض شديدة فحبسوا في المستشفيات وكانوا هم العائلين لأسرهم لا شك أنهم في نوازل وفاقه شديدة فرحم الله من مسح العبرة وأزال الدمعة.

#### ٩- هي من الصدقات التي أمر بها كل يوم

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْتَعِ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ). (١٨)

(١٧) أخرجه مسلم (١٠٤٤).

(١٨) أخرجه البخاري (١٤٤٥)، ومسلم (١٠٠٨).

## ١٠- استقرت الفطر على أن صنائع المعروف تقي مصارع السوء

فلما جاء النبي ﷺ لخديجة رضي الله عنها يبرجف فؤاده ثم قال لها لقد خشيت على نفسي؛ فطمأنته بأسباب الوقاية والسعادة التي يحملها بين جنباته وفي أدبه وأخلاقه فائلة له: (كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُضْرِكُ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ). (١٩)

ولقد كان وجهه ﷺ يتغير لرؤية المصابين والمنكوبين وأصحاب الحاجات ويسارع في إزالة كربتهم كما في حديث جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: (كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاءٌ عُرَاءٌ مُجْتَابِي النَّارِ أَوْ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍ بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ قَالَ: فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِإِلَاءٍ فَأَذَنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: ١] وَقَرَأَ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ { وَلَتَنْظُرُنَّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ } [الحشر: ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثُوبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلَّ قَدْ عَجَزَتْ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَعْنِي كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُتَّقَصَّ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُتَّقَصَّ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ). (٢٠)

(١٩) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢٠) أخرجه مسلم (١٠١٧).



قُلْتُ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا قَالَ فَأَرِنِي فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ.

(٢١)

### صور مشرقة من حياة الصحابة والتابعين لهم باحسان.

١- لقد حوَّصر النبي ﷺ في شعب أبي طالب وأصحابه معه لا يجدون طعاماً، ولا شرباً، ووقع عليهم البلاء، وحلت بهم النكبات، حتى بلغ بهم الجهد الشديد، وسمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب، ووقفت السيدة خديجة (رضي الله عنها) موقفاً عظيماً مع النبي ﷺ بذلت مالها لتؤمن ما تستطيع من طعامٍ للمسلمين خلال هذه السنوات، واستعانت لهذا الأمر بابن أخيها حكيم بن حزام (رضي الله عنه) وكان حينئذٍ لا يزال

على شركه، لم يسلم بعد كان يشتري الطعام، ويرسله إلى عمته السيدة خديجة ليلاً.

قال محمد بن إسحاق: فأقامت قريش على ذلك من أمرهم في بني هاشم وبني المطلب سنتين أو ثلاثاً، حتى جهد القوم جهداً شديداً لا يصل إليهم شيء إلا سراً، أو مستخفياً ممن أراد صلتهم من قريش، فبلغني أن حكيم بن حزام خرج يوماً ومعه إنسان يحمل طعاماً إلى عمته خديجة ابنة خويلد، وهي تحت رسول الله ﷺ، ومعه في الشعب، إذ لقيه أبو جهل فقال: تذهب بالطعام إلى بني هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك عند قريش، فقال له أبو البخترى بن هاشم بن الحارث بن أسد: تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده، فأبى أبو جهل أن يدعه، فقام إليه أبو البخترى

(٢١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

بساق بعير فشجه ووطئه ووطناً شديداً، وحمزة بن عبد المطلب قريباً يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه فيشمتوا بهم. (٢٢)

٢- وأما أبو بكر الصديق رضي الله عنه فكم أنفق على أصحاب الحاجات وتصدق وأعان الفقراء والمنكوبين بنفسه وماله ومن أعظم الأمثلة على ذلك لما علم أن بلال بن رباح يعذب في سبيل الله اشتراه وأعتقه في سبيل الله حتى قال عمر بن الخطاب :- (أَبُو بَكْرٍ سَيِّدُنَا وَأَعْتَقَ سَيِّدَنَا)، (٢٣) وعن عروة بن الزبير - رضي الله عنه - قال: أَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ مِمَّا كَانَ يُعَذَّبُ فِي اللَّهِ سَبْعَةً: عَامِرَ بْنَ فَهَيْرَةَ، وَبِلَالَ، وَزَيْنَةَ، وَأُمَّ عُبَيْسٍ، وَالنَّهْدِيَّةَ، وَابْنَتَهَا، وَجَارِيَةَ بَنِي عَمْرِو بْنِ مُؤَمِّلٍ. (٢٤)

٣- لقد وقعت أزمة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أواخر سنة ١٧ هـ، وبداية عام ١٨ هـ، تمثلت في حصول قحط شديد بين الناس في أرض الحجاز، حتى تجمع في المدينة من غير أهلها قرابة الستين ألفاً من العرب، فقل الطعام، وجفت ينابيع الأرض، وغارت مياه الآبار، حتى كانت الوحوش تأوي إلى الناس، وكان الناس يحفرون نفق اليرابيع والجرذان، ليأكلوا ما فيها من حشرات، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها وأنه لمقفر، ودامت هذه الأزمة تسعة أشهر، أياماً بليالي، حتى سمي العام الذي وقعت فيه عام الرمادة، فكانت الريح تأتي على الأرض فلا تُسفي إلا تراباً كالرماد، وقيل: أصبحت الأرض سوداء كالرماد من قلة المطر، وقيل: تغيرت ألوان أجساد الناس فكانت شبيهة بالرماد، حتى نحل جسم عمر رضي الله عنه واسود لونه فما أن وقعت ونزلت بساحة المسلمين حتى

(٢٢) السيرة النبوية لابن إسحاق (١/٥٣).

(٢٣) أخرجه البخاري (٢٧٥٤).

(٢٤) مصنف بن أبي شيبة (٣٢٦٠٢).

قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسعى هو وبعض الصحابة في مواجهة هذه النكبة وحل هذه الأزمة الشديدة وإليك بعض الأعمال التي قاموا بها. (٢٥)

١- لقد حث الناس على كثرة الصلاة والدعاء واللجوء إلى الله:

قال ابن سعد في الطبقات عن عبد الله بن عمر قال: (كان عمر بن الخطاب أحدث في عام الرمادة أمراً ما كان يفعله، لقد كان يصلي بالناس العشاء، ثم يخرج حتى يدخل بيته، فلا يزال يصلي حتى يكون آخر الليل، ثم يخرج فيأتي الأتقاب فيطوف عليها، وإني لأسمعه ليلة في السحر وهو يقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدي). (٢٦)

وأخرج أيضاً من خبر سليمان بن يسار قال: خطب عمر بن الخطاب الناس في زمن الرمادة، فقال: (أيها الناس اتقوا الله في أنفسكم، وفيما غاب عن الناس من أمركم، فقد ابتليت بكم وابتليت بي، فما أدري السخطي عليّ دونكم، أو عليكم دوني، أو قد عمّنتي وعمتكم، فهلّموا فندع الله يصلح قلوبنا، وأن يرحمنا، وأن يرفع عنا المحل، قال: فرئي عمر يومئذ رافعاً يديه يدعو الله، ودعا الناس، وبكى وبكى الناس ملياً، ثم نزل وكان يقول: اللهم لا تهلكنا بالسنين وارفح عنا البلاء، يردد هذه الكلمة، وكان ينادي في الناس: أيها الناس استغفروا ربكم ثم توبوا إليه وسلوه من فضله، واستسقوا سقياً رحمة). (٢٧)

٢- كتب إلى عماله في الأمصار طالبا الإغاثة، وفي رسالته إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه والي مصر بعث إليه: (يا غوثاه يا غوثاه، أنت ومن معك ومن قبلك وما أنت فيه، ونحن ما نحن فيه)، فأرسل إليه عمرو

(٢٥) تاريخ الطبري (٥٠٨/٢)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٣١٠/٣).

(٢٦) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣١٢/٣).

(٢٧) المرجع السابق (٣١٩/٣).

ﷺ - بألف بعير تحمل الدقيق، وبعث في البحر بعشرين سفينة تحمل الدهن، وبعث إليه بخمسة آلاف كساء،<sup>(٢٨)</sup> وكتب إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ بالكوفة فأرسل له بثلاثة آلاف بعير تحمل الدقيق، وبعث إليه بثلاثة آلاف عباءة، وكتب إلى معاوية ﷺ بالشام فبعث إليه بألفي بعير تحمل الزاد، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ﷺ فبعث إليه عيراً تحمل الدقيق والزيت والسمن والشحم والها،<sup>(٢٩)</sup> وكتب إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ فبعث إليه أربعة آلاف راحلة من طعام فولاه قسمتها فيمن حول المدينة،<sup>(٣٠)</sup> ونحو ذلك مما حصل من مواساة المسلمين لبعضهم. لقد شعر عمر ﷺ بمعاونة الناس، حتى قال أنس ﷺ: تفرق بطن عمر بن الخطاب، وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان حرم عليه السمن فنقر بطنه بإصبعه قال تفرق تفرقك إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس.<sup>(٣١)</sup>

٣- عثمان بن عفان ﷺ كان يعين الصحابة بنفسه وماله ويعطي المحتاج ويكفل المنكوب في الحضر والسفر اشترى بئر رومة وجهاز جيش العسرة فعن أبي عبد الرحمن السلمي قَالَ: (لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَذَكَّرُكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ انْتَفَضَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَثْبِتْ حِرَاءَ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صَدِيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَذَكَّرُكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ: مَنْ يُنْفِقْ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً؟ وَالنَّاسُ مُجْهَدُونَ مُعْسِرُونَ، فَجَهَزْتُ ذَلِكَ الْجَيْشَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: أَذَكَّرُكُمْ بِاللَّهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بَيْرَ رُومَةَ، لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ

(٢٨) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٣١٥).

(٢٩) تاريخ المدينة لابن شبة (٢/٧٧٤).

(٣٠) تاريخ الطبري (٢/٥٠٩).

(٣١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٣١٣).

مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا بِثَمَنِ، فَابْتَعْتُهَا، فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، وَأَشْيَاءٌ عَدَدَهَا).

(٣٢)

٤- ولقد ضرب الأنصار - رضي الله عنهم - أروع الأمثلة في إعانة إخوانهم المهاجرين لما نزلوا عليهم في المدينة فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قال: (لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَخَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَا لَا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي وَأَنْظُرُ أَيَّ زَوْجَتِي هَوَيْتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا قَالَ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ). (٣٣)

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَابَنِي الْجُحْدُ فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَلَا رَجُلٌ يُصَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحُمُهُ اللَّهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ ضَيِّفِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا تَدَخِرِيهِ شَيْئًا قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصَّبِيَّةِ قَالَ فَإِذَا أَرَادَ الصَّبِيَّةُ الْعِشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ وَتَعَالِي فَأَطْفِئِي السَّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ فَفَعَلْتُ ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر: ٩]. (٣٤)

٦- فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن الصميت - رحمه الله - ترك حياة الرفاهية والأهل والأحباب واختار أدغال إفريقيا مسكناً له من أجل مساعدة الفقراء وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من

(٣٢) أخرجه البخاري (٢٧٧٨) معلقاً، والترمذي (٣٩٦٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣٦٩٩).

(٣٣) أخرجه البخاري (٢٠٤٨).

(٣٤) أخرجه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

المجاعة الضاربة في عمق القارة السمراء، لقب بخادم الأفارقة تمكن طيلة ٣٠ عاماً من بناء ٥٧٠٠ مسجداً وحفر ٩٨٠٠ بئراً وإنشاء ٨٦٠ مدرسة و١٥٨ مستشفى ومستشفى وكفالة ١٥ ألف يتيم، والأهم من ذلك ساهم رفقة قرابة ٤٠٠٠ داعية في دخول ثمانية ملايين ونصف مليون إفريقي إلى الإسلام.

**والحمد لله رب العالمين**